الأشـــراف

بركات الشريف

نشأ بركات بن مبارك بن مطلب الشريف، ضمن الاسر الحاكمة واهل حضاره اسلاميه اصيله وكان رجل على علم بالكتاب والسنة يبدو لنا ذلك من لفضه ومعرفته وحسن اسلوبه في جميع قصائده كلها واعترافه بحق والده عندما عاتبه على جمعاً من الملا وغاب عنه فترة من الزمن ثم اعاد يكاتبه و يأخذ بعواطفه بهذه القصيدة.

عـفـىٰ الله عـن عـيـنـا لـلاغـضـى محـاربـة
جـسـمـاً دنـيـقـا زايـد الهـم شـاعـبـه

أسـهـر الـي نـام المـعـافـا ومـدمـعـي
قـد هـل مـابين الـنـاظـريـن سـاكـبـه

قـد قـلـت لمـا بـاح صـبـري ولجـبـي
صـديـقـا شـفـيـقـا حـميـداتـا مـذاهـبـه

دع الـعـذل عـنـي يـا نـاصـحـي وخـلـنـي
فـشـرواك مـايـرضـى هـوانـا لـصـاحـبـه

مـانـي هـــدان يـضـعـف الـبـعـد عـزمـه
يـعـيـش بـذل راكـبـا فـوق غـاربـة

شـهـرت عـن الـزهـده وهـي لـي فـضـيـة
ولايمـنـع المخـلـوق مـالله كـاتـبـه

فـي كـل دارا للـرجـال مـعـوشـه
والارزاق كـافـلـهـا جـزالا وهـايـبـه

والله لـو قـلـت خـاطـبـونـي فـانـنـي
صـبـي الـشـقـاء مـا لان للـضـد جـانـبـه

ولانـي غـاونـبـك ولابـي سـفـاهـة
عـزيـز ولأنـفـسـي لـدنـيـاك طـالـبـه

اخـتـرت بـعـد الـدار فـي نـازح المـدا
ولأقـولـتـا بـركـات قـد هـان جـانـبـه

وقـد قـلـت لمـا أشـرفـت ذات عـشـيـه
عـلـى مـرقـبـا عـال الـذرا مـن مـراقـبـه

فـيـا مـبـلـغـا مـنـي ذو الجـود والـثـنـا
مـن شـب شـارات المـغـالـي مـكـاسـبـه

أمـبـارك زبـن الجـاذيـات أبـن مـطـلـب
ذرا الجـار والـعـانين عـن كـل نـايـبـه

ثم أبـلـغـه مـنـي سـلامـا مـضـاعـف
عـداد مـامـطـر وبـل الـسماء مـن سـحـايـبـه

قـل يـا حـماي جـرد الـسـبـايـا فـالـقـنـا
الـي أحمـر مـن عـود الـبـلـنـزا ذوايـبـه

يـا مـورد الاسـيـاف بـيـضـا حـدودهـا
ومـصـدرهـا حمـرن مـن الـدم شـاربـه

يـا زبـن راعـي عـودتـا قـصـرتـبـه
أمـعـقـبـه فـي تـالـي الخـيـل تـاعـبـه

يـا كـعـبـة الاوفـاد بـالمـد والـثـنـا
الـى الـنـذل ذل ولاذ واغـضـى بحـاجـبـه

الـــى قـــل مـــاء المـــرزمـــات وجـــذب
وقـــل الحـــيـــاء واوقـــاف الامحـــال كـــاهـــبـــه

بـــنـــيـــت لـــنـــا بـــيـــتـــا مـــن الـــعـــز شـــامـــخ
أســـأل الله أن لايـــهـــدم الـــضـــد جـــانـــبـــه

لاتحـــســـبـــنـــي بـــعـــد حـــســـنـــاك والـــرضـــا
أغـــضـــبـــك بـــالـــدنـــيـــا ومـــا كـــنـــت غـــاضـــبـــه

لاكـــن جـــانـــي مـــنـــك مـــضـــمـــون كـــلـــمـــه
عـــلـــى حـــضـــرة الـــرمـــاق والخـــلـــق قـــاطـــبـــه

بهـــا تـــعـــاتـــبـــنـــي ولا دســـت زلـــه
وغـــيـــري لـــو داس الـــردى مـــا تـــعـــاتـــبـــه

حـــاربـــتـــنـــي مـــن غير ذنـــبـــا جـــنـــيـــتـــه
عـــســـى يحـــضـــى بـــالجـــنـــان مـــن تـــعـــاتـــبـــه

لـــعـــلـــك تـــذكـــرنـــي إلـــي جـــتـــك دهـــايم
والمـــال جـــاء يحـــدأ جـــافـــلا مـــن مـــعـــازبـــه

ولـــك بـــنـــا مـــركـــاض الـــي أشـــرفـــت للـــعـــدا
وتجـــازعـــت بـــالـــعـــج منهـــا ســـلاهـــبـــه

بـــيـــومـــا يـــشـــادى الـــلـــيـــل ضـــافـــا كـــتـــامـــه
فـــيـــه الـــســـبـــايـــا كـــالخـــواطـــيـــف لاعـــبـــه

وريـــش الـــقـــنـــا كـــحـــوم غـــربـــان دمـــنـــه
عـــلـــى رمـــا بين الـــســـمـــائين قـــاطـــبـــه

الـــي كـــن الـــقـــنـــاء مـــن بين ذولا وبـــيـــنـــنـــا
كـــارشـــيـــت بـــيـــرا طـــوالا مجـــاذبـــه

غـدا هـويـد الخـيـل مـن شـد وقـعـهـا
كـصـلـصـال رعـدا فـي مـثـانـي سـحـايـبـه

وأنـا فـوق قـبـا تـقـحـم الـعـود عـنـدل
مـتـرفـعـه صـفـرا طـوالا مـنـاكـبـه

طـويـلـة عـظـم الـسـاق وافـن شـبـورهـا
لهـا مـثـل عـرف الـديـك طـوعـا مجـاذبـه

ولـي فـوقـهـا درعـا ونـصـبـا وطـاسـه
وسـيـفـا بـيـمـنـى أبـلـجـا يـسـتـلاذبـه

مـع طـول عـشـرا فـيـه زرقـا سـنـيـنـه
تـوضـى كما نجما فـي دجـاء الـلـيـل ثـاقـبـه

الـي شـكـت أطـراف الـرمـاح مـن الـظماء
فـسـيـفـي ودرعـي مـن دمـاء الـضـد شاربه

وقـد فـرحـبـي مـن لأيـودون حـضـرتـي
بـذالـك عـلـى هـذا والأضـداد قـاطـبـه

ولا جـيـتـك إلا والـركـايـب زوالـف
عـن الـدار والاضـداد بـالـمـلـك ذاهـبـه

فـلـيـا نـبـحـتـنـا مـن قـريـبـا كـلابهم
ودبـت عـلـيـنـا مـن الـبـغـض عـقـاربـه

نحـيـنـاهـا بـاكـوار المـطـايـا ويـمـمـت
بـنـا صـوب حـزمـا صـارخـاتـا ثـعـالـبـه

بـيـومـا مـن الجـوزاء مـسـتـوقـدا الحـصـى
تـلـوذ بـاعـضـاد المـطـايـا جـخـادبـه

موت الفتىٰ في كل دوا سملق
خالي من الأوناس قفرا جوانبه

في دون يتيه فيها الدليل مخافه
وشجر المفالي طامياتا مراقبه

على الفتىٰ أشوى من مقامه بديره
يعيش بها والغبن فيها مطالبه

فمن قلط الهندي وأخر العصاء
جلأ الهم واصبح نازحا عن قرايبه

فقلته على بيتا قديما سمعته
وهو على مثل ماقال التميمي لصاحبه

فاذا الخل ورّاك صدودا فوره
صدودا ولوا كانت جزالا وهايبه

وكن عنه أغنى منه عنك ولاتكن
جزوعا الي حقت بالاقفى ركايبه

فخاطر بنفسك في لقاء كل كايد
تحوش الغنايم والمقادير غالبه

فلا خطر يوما بيدني منيه
ولاحد ينجي من الموت صاحبه

وترى مايعيب الروح إلا من أصله
ولا آفة الإنسان إلا قرايبه

وأصلي على خير البرايا محمد
نبي الهدى وأزكى قريش ناسبه

هذه القصيدة للشاعر بركات الشريف ينصح ابنه مالك:

يـامـرقـب بـالـصـبـح نـطـيـت راقـيـك
مـا واحـد قـبـلـي خـبـرتـه تـعـلاك

ولـيَّـت يـاذا الـدهـر مـاكثر بـلاويـك
الله يـزودنـا الـسـلامـة مـن اتـلاك

والـيـوم هـالـكـانـون غـادن شـبـابـيـك
تـلـعـب بـه الارياح مـن كـل شـبـاك

يـامـالـك اسـمـع جـابـتـي يـوم أوصـيـك
واعـرف تـرى يـابـوك بـامـرك وانهـاك

وصـيـة مـن والـد طـامـع فـيـك
تـسـبـق عـلـى الـسـاقـه لسـانه لعليـاك

أوصـيـك بـالـتـقـوى عـسـاء الله يهـديـك
الهـا وتـدركـهـا بـتـوفـيـق مـولاك

الله بحـق أجـدادك الـغـر يـعـطـيـك
مـرضـاتـه مـع مـا تـمـنـا مـن امـنـاك

احـفـظ دبـشـك اللـي عـن الـنـاس مغنيك
اللـي الـى بـان الخـلل فـيـك يـرفـاك

اعـرف تـرى مـكـة ولاهـا ابـنـا خـيـك
لـو تـطـلـبـه خمـسـة مـلاليم مـا عـطـاك

اجـعـل دروب المـرجـلـه مـن مـعـانـيـك
واحـذر تـمـيـل عـن درجـهـا بمـرقـاك

لاتـنـسـدح عنهـا وتـبـغـيـنـي أعـطـيـك
جمـيـع مـايـكـفـيـك مـاحـاصـل ذاك

أدب ولـدك إن كـان تـبـغـيـه يـشـفـيـك
واسـتـسـعـفـه مـن بـعـد مـر بـاه يـالاك

أمـا سـمـج وسـتـسـمـجـك عـنـد شـانـيـك
ويـغـر مـن فـعـلـه صـديـقـك وشـرواك

والا بـعـد جـهـلـه تـراه بـيـاذيـك
لـو زعـلـت أمـه لاتخـلـيـه يـالاك

واحـذر تـضـيـع كـل منهـو ذخـر فـيـك
مـعـروفـه لاتـنـسـاه واوفـه بـعـرفـاك

تـرا الـصـنـايـع بين الاجـواد تشريـك
الـيـا طـمـعـت بـغـرسـهـا لا تـعـداك

واحـذر سـرور بـغـبـة الـبـحـر يـرمـيـك
ولا عـنـده أفـلـس مـن تـشـكـيـك وبـكـاك

وأوف الـرجـال حـقـوقـهـا قـبـل تـعـنـيـك
ولا تـعـتـمـد بـالـقـول والحـق يـقـفـاك

وهـرج النمـيـمـه والـقـفـا لايجـي فـيـك
وايـاك عـرض الـغـافـل ايـاي وايـاك

تبدي حديث للملا فيه تشكيك
وتهم عند الناس بالكذب وشراك

واليا نويت احذر تعلم بطاريك
كم واحد تبغى منه عرف وأغواك

واحذر شماتة صاحب لك مصافيك
اليا جرا لك جاري قال لولاك

ولاتحسب أن الله قطوع يخليك
ولا تفرح أن الله على الخلق بداك

الضيف قدم واجبه حين يلقيك
مما تنوله يافتى الجود يمناك

اكرم اقباله فانها من شواديك
وابذل له المجهود مادام يعناك

احذر تلقى الضيف مقرن علابيك
خله محب لك صديق إذا جاك

وأوصيك زلات الصديق إن عشا فيك
ما دام يغطاها الشعر فاحتمل ذاك

راعه ولو ماشفت انه يراعيك
عساك تكسر نيته عن معاداك

واحذر عدوك لو ظهر بي يصافيك
خلك نبيه وراقبه وين ما جاك

لاتامنه واطلب من الله ينجيك
ويكفيك ربك شر ذولا وذولاك

شفني أنا يا بوك أبأمرك ونهيك
عند التعرض بين الاثنين حذراك

اذا حضرت اطلابة مع شرابيك
اسع لهم بالصلح والاشّ يفداك

ابذل لهم بالطيب ربك ينجيك
ولا تجضع الميزان مع ذا ولا ذاك

أما الشهادة فأدها أن ادعوا فيك
بين عمود الدين لاعميت اریاك

بالك تماشي واحد لك يرديك
طالع بني جنسك وفكر بمشاك

رافق أصيل في زمانك يشاكيك
لاشاف خملاتك عن الناس غطاك

واحذر عن طرد المقفى حذاريك
عليك بالمقبل واترك اللي تعداك

ثم العن الشيطان لياه يغويك
ترى أن تبعته للشرابيك وداك

وأوصيك لاتشكي علينا بلاويك
انت السبب طرفت اعيونك بيمناك

واعرف ترى ماقد وطا الفعر[1] واطيك
ولانت أعز من الجماعة هذولاك

(١) الفعر: رجل من الأشراف سجنه شريف مكة حتى هلك.